

اجتهادات الرسالة أم الجمال؟

كان المخرج الكبير فيديريكو فلليني أحد أبرز من أسهموا فعلياً في الإجابة عن سؤال مازال يثير خلافاً واسعاً بين من يرون ضرورة أن يكون للفن رسالة واضحة، ومن يعتقدون أن هذه الرسالة ليست ضرورية لأن الأساس في الفن أن يكون جميلاً، ومن يتوسطون الاتجاهين.

أثبت فلليني، الذي تحل اليوم المئوية الأولى لولادته، أن العمل الفني الجميل حقاً يقدم رسالة من تلقاء نفسه حتى إذا لم يقصد صانعه. فيلمه ثمانية ونصف، الذي يرى كثير من النقاد أنه أحد أفضل عشرة أفلام في القرن العشرين، كوميدي لطيف يحبه أبسط مشاهديه، وتعجبهم خلطته التي تجمع المرح والسخرية والخيال، وحتى العبثية بشكل ما، في مزيج فريد وغريب. وهذا فيلم جميل ومسل صنعه في لحظة لم يكن لديه فيها ما يقدمه، ويستحيل منطقياً بالتالي أن يكون قد قصد توجيه رسالة من خلاله. ولكن هذا الفيلم لا يخلو، رغم ذلك، من رسالة مفادها أن على الإنسان تحدى الظروف التي تعيقه، ومواصلة العمل مهما تكن المشكلات التي تواجهه، إذ يقدم قصة مخرج يمر في فترة صعبة تتسم بالضحالة، ولكنه يحاول صنع فيلم جديد تحت ضغوط شتى بعضها من داخله، وبعض آخر فيها من المجتمع. كان الفيلم، إذن، من وحي حالته في اللحظة التي بدأ فيها العمل به، أي فيلم ذاتي، ولكنه ليس من أفلام السيرة الذاتية، إذ يقتصر على لمحة من حالة الذات في لحظة محددة. ولم يكن صعباً عندما عُرض الفيلم تبين أن البطل فيه يرمز لمخرجه، فصار سهلاً فهم مغزى

اسمه الذى يشير إلى ترتيبه فى قائمة أعماله. فقد أخرج فللىنى قبله ستة أفلام طويلة، وساعد فى إخراج فيلم حسبه نصفاً، وأخرج فىلمين قصيرين رأى أن كل واحد منهما يساوى نصف فىلم، فكان المجموع سبعة أفلام ونصف الفىلم، وأصبح ذلك الفىلم رقم ثمانية ونصف الفىلم. وإذ نعود إلى فن فللىنى اليوم فى ذكراه، نذكر له أنه أكثر السينمائيين قدرة على استلهم أعمال من حياته الشخصية، رغم أنه لم يهتم بصنع عمل عن سيرته الذاتية.